أثر العولمة الإعلامية على مقومات الأمن الثقافي العربي

د. حيمر فتيحة

أستاذ محاضر(ب)

قسم العلوم السياسية جامعة قاصدي مرباح ورقلة

يقول" **الماهاتما غاندي**" :

" أريد أن تهب ثقافات كل الأرض بمحاذاة مترلي وبكل حرية، لكن أرفض أن أنقلب بهبوب أي واحدة منها"

ملخص:

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن موضوع تكنولوجيا الاعلام والاتصال لما له من أهمية بالغة في التأثير على الشعوب والدول خاصة في عصر العولمة التي أصبح العالم في ظلها قرية صغيرة، إذ ما يحدث في إحدى الدول سرعان ما ينتقل الى غيرها في بقاع المعمورة. ولقد تفطنت الدول الغربية وعلى رأسها حاملة مشعل العولمة الولايات المتحدة الأمريكية الى أهمية استغلال ذلك فيما يحقق مصالحها المختلفة، وذلك من خلال توجيه الرأي العام كيف ما تشاء عبر ما تملكه من امكانيات ووسائل اعلامية هائلة التطور.

والهوية الثقافية عامة والعربية خاصة تعد إحدى أهم الجوانب المستهدفة من قبل الاعلام المعولم الذي يحمل مضامين ثقافية للوطن الأم، وذلك كمرحلة جديدة من مراحل الاختراق للأمن القومي للدول، على عكس ما كان في السابق، حيث الاختراق كان مباشرا وباستخدام القوة الصلبة. لكن استخدام القوة اللينة في الاختراق يعد الأخطر والأقدر على التدمير بنظرنا، لما يحدثه من فقدان للتماسك والتجانس الاجتماعي الذي هو أساس وحدة أية أمة، وانعدام للولاء وانسلاخ عن الشخصية الوطنية لغة ودينا وتاريخا. ومنه، نحاول من خلال هذه المداخلة الإجابة عن السؤال التالي: ما مدى تأثير العولمة الاعلامية على الهوية الثقافية العربية؟ وكيف السبيل لمواجهتها؟

الكلمات الدالة: الأمن الثقافي، العولمة الإعلامية، الغزو الثقافي، تكنولوجيا الاتصال، الهوية العربية.

Abstract :

During the last years, information and communication technology has become publicly known due to its importance in influencing both peoples and countries mainly in the era of globalization which transferred the world to a small village where any event which happens in one country will rapidly spread to other countries. Consequently, Western countries, mainly U.S.A as a holder of globalization cresset, has understood the importance of the use of such technological means to achieve their various interests by orienting public opinions as they want via their extremely developed communication means.

The cultural identity in general and especially the Arabic one, are considered as the most important topics targeted by the globalized communication system bearing cultural concepts for the motherland in a form of one of the new phases of penetration of countries security systems to the contrary of what has been known before where any penetration was made by use of the material force. However, we consider that use of the soft force in

penetrating countries security systems is more dangerous and devastating because, firstly it unbalances the social tenacity and homogeneity which is considered as the basis of unity of any nation and secondly it spreads out non communalism and alienation of national personality constants such as language, religion and history.

Key words: cultural security, media globalization, cultural invasion, communication technology Arab Identity.

مقدمـــة:

تطورت وسائل الاتصال في السنوات الأخيرة تطورًا هائلا بفضل التقدم العلمي والثورة التكنولوجية التي شهدها القرن العشرون. فأصبحت وسائل الإعلام المتعددة تمارس دورًا جوهريًا في إثارة اهتمام الجمهور بالمشكلات والقضايا السياسية، والثقافية، والاجتماعية المطروحة، بسبب فاعليته الاجتماعية وانتشاره الواسع فهو بقدرته على الحراك ومخاطبة القسم الأعظم من التكوين المجتمعي يمتلك الإمكانية لتشكيل الوعي الاجتماعي بصورة غير مباشرة، وبوتيرة متسارعة، باعتباره الناشر، والمروج الأساس للفكر والثقافة.

أضف إلى ذلك، أن الإعلام باعتباره مؤسسة اجتماعية هامة في المجتمعات البشرية يحمل مضامين اقتصادية، وسياسية، وأيديولوجية إن لم تكن لها القدرة على ترسيخ ثقافة المجتمع وهويته، فإنها تؤدي إلى تزييف الوعي وإفساد العقول.

والشباب العربي اليوم هو أكثر فئات المجتمع تأثرًا بعمليات الغزو الثقافي، نتيجة للانفجار المعرفي الهائل، وتطور وسائل الإعلام الجماهيرية، وبالذات الفضائيات التي توصف وسائل الإعلام بوصفها الراهن إذ تمثل متغيرًا اجتماعيا، وثقافيًا مهامًا في حياة الشباب، فهو المصدر الرئيس للمعلومات والتعلم وهو أحد مصادر عمليات تشكيل الوعي الاجتماعي في عصر العولمة الإعلامية. من هنا نطرح الاشكال التالي: ما مدى تأثير العولمة الاعلامية على الهوية الثقافية العربية؟ وكيف السبيل لمواجهتها؟

سيتم ضمن هذه الورقة بحث الموضوع والإجابة عن الاشكال بالتطرق الى المضامين المختلفة لمفهومي "الأمن الثقافي" و"العولمة الاعلامية"، ثم إبراز أهم مخاطر العولمة الاعلامية على مقومات الأمن الثقافي العربي، وفي الأخير البحث في السبل الكفيلة لمواجهة العولمة الاعلامية وحماية الهوية الثقافية العربية.

المبحث الأول: مضامين الأمن الثقافي والعولمة الاعلامية

أولا: مفهوم الأمن الثقافي

يعتبر الأمن الثقافي أحد جوانب الأمن القومي، بل وأهمها بنظرنا فهو يتقدم على الأمن الاجتماعي والعسكري والسياسي والاقتصادي، لأنّه إذا تحقق الأمن الثقافي يمكن تحقيق الأمن والحماية فى كثير من المجالات الأخرى. ولعل الدفاع عن الوجود يكون قبل الدفاع عن الحدود.

بداية الأمن والأمان، والأمانة، والأمن نقيض الخوف، أو كما ذكر الأصفهاني "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوارل الخوف".[1]

اصطلاحا: عرّفه "دومينيك دافيد" بقوله هو:" خلو وضع ما من التهديد أو أي شكل من الخطر، وتوفر الوسائل اللازمة للتصدي لذلك الخطر في حال أصبح أمرا واقعا".[2]

أيضا " كنيث والت" عرفه بقوله هو: "أمن الدولة وبقائها"،[3] وقد ركز على المعنى الضيق للأمن، لذا نجد "كين بوث" يعرّفه بشكل أوسع قائلا هو: "الانعتاق الذي يعني تحرير الشعوب من القيود التي تعيق مسعاها للمضي قدما في اتجاه تجسيد خياراتها، ومن بين هذه القيود الحرب، والفقر والاضطهاد ونقص التعليم وغيرها كثير".[4] ومن ذلك نقول أن الأمن يعني الطمأنينة وانعدام الخوف.

أما كلمة "الثقافة": فقد وردت فى المعجم الوسيط فـــ "ثقف الشيء، أقام المعوج منه وسواه، و"ثقف" الإنسان أي أدبه علمه وهذبه. والثقافة هى العلوم والمعارف والفنون التى يطلب العلم بها والحذِقُ فيها.[5]

أما اصطلاحا: فعرفها" إدوارد تايلور" بقوله هي:" المجمع المعقد الذي يتضمن المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعرف وأية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع".[6] أما الدكتور "جلال أمين" بقوله هي:" عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة".[7] فالثقافة أنماط واضحة من السلوك يحصل عليها الإنسان وتنتقل إليه عن طريق رموز تتكون من الإنجازات المميزة للجماعات الإنسانية.

أما "الأمن الثقافي" فيعرَّف على أنّه:" الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة "،[8] وهو بهذا المعنى حماية وتحصين للهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج. وبمعنى أخر هو: "الشعور الذاتى بالانتماء القومى، والذى يخلق اطمئنانا للوجود لدى الأفراد المنتمين إلى أمة واحدة، فهو يكمن فى المحافظة على الهوية والدفاع ضد من يحاول زعزعة ثقافة الأمة". كما يُشير المفهوم أيضا إلى:" المحافظة على مقومات الثقافة وتأصيلها وتطويرها لتساير مستجدات العصر وتحولاته، حتى يمكّننا ذلك من الحوار المثمر والخلاق والمبدع مع الآخر".[9]

وتتجلى أهمية تحقيق الأمن الثقافى فى الجوانب التالية:

- ✓ الحفاظ على الذاتية الثقافية من خلال القيم والمعايير التي تحيط بالمجتمع واستقراره وتميزه عن باقي المجتمعات الأخرى.

✓ تحقيق الأمن الثقافي يسهم فى بناء المواطن الصالح، ويحميه من كل التيارات الوافدة والأفكار الهدامة، ومن التطرف والإرهاب والعنف السياسي، ويجعله قادرا على المشاركة الفعالة فى تنمية المجتمع.

✓ تحقيق الأمن الثقافي يأتي على رأس العوامل التي تحمي الشباب من السلوك الاجتماعي غير المرغوب فيه مثل: أفلام الجريمة، العنف، الجنس و.. غيرها.

يؤدي تحقيق الأمن الثقافي إلى حماية عاداتنا وتقاليدنا المتوارثة عبر القرون الماضية، والتي تمتد بدورها إلى القيم الإنسانية ذات الطابع الديني والاجتماعي. كما يستطيع الفرد من خلال الأمن الثقافي أن يدرك الكثير من المفاهيم الواردة من الثقافات الأخرى، ويعمل على الارتقاء بها بما يتناسب مع المجتمع وظروفه.

إن تحقيق الأمن الثقافي يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمع، فالفرد الواعي يشجع استخدام الإنتاج المحلي بدلًا من الترويج للصناعات الغربية التي تسبب إضرارا بالاقتصاد المحلي.[10]

والأمن الثقافي يرتكز على مقومات أساسية ستة هي:

أ)– **اللغة**: وهي نظام عرفي مكون من رموز وعلامات يستغلها الناس في الاتصال ببعضهم البعض وتحقيق التعاون فيما بينهم، وفي التعبير عن أفكارهم وتصوراتهم ورغباتهم، كما أنّها منهج ونظام للتفكير الضابط لانفعالاتهم التي تصدر بطريقة إرادية ويساعد على التعبير والاتصال والتفاهم ونقل الأفكار، وهذا يعني أنها منهج للتعليم ونظام لحفظ التراث الثقافي عبر الأجيال.

ب)– **الدين**: وهو مرادف لكلمة نظام أو منهج فى الاصطلاحات الحديثة، مع شمول المدلول للإيمان والاعتقاد فى القلب والسلوك فى الواقع، والشريعة لكل جوانب المجتمع الإنساني. كما أنَّ الدين ظاهرة مجتمعية، تمثل أحد الجوانب الأساسية لمعظم الأنشطة النظامية في المجتمع، ويتمتع بأخلاق وقيم نظامية وعقلانية. فالدين يُمثل القاعدة الأساسية التي يُبنى عليها كل أمن ثقافي متكامل. وهو يتضمن أساسا: العقيدة الراسخة، والقيم الدينية والأخلاقية، التي تمكن الفرد والمجتمع من السير بثبات فى ظل عالم مترابط بلا دين واحد ولا هوية واحدة مهيمنة، فهو يسعى إلى التأكيد على الهوية وتكوين الإنسان الصالح فى الحياة، وهو أيضا المقنن الأول للقيم والمعايير الأخلاقية.

ج)– **التراث**: هو المخزون الثقافي والمعرفي، وهو الرصيد الفكري والأيديولوجي لمعطيات العقل والسلوكيات للفرد والجماعة، ويدخل ضمن هذا المخزون والرصيد كل أشكال الثقافة

والحضارة عبر العصور. ولكل أمة تراثها الحضاري والثقافي الذي يمثل ذاكراتها التاريخية أو سجلها الحي الذي أودعته تجاربها وخبراتها في حياة ممتدة، امتداد العصور، وينتقل التراث بالتعليم في شكل عقائد ولغة وعلوم وآداب وفنون وتقاليد، لكنه لا ينتقل إرثا جامدا ثابتا، بل ينتقل فى صيرورة، حيث يخضع لروح العصر ويستجيب لمتطلباته.

د)– الذاتية الثقافية: وهي جميع السمات المميزة للأمة، كاللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد، وطرائق التفكير ومظاهر السلوك وغيرها، مما يحفظ للأمة شخصيتها وتميزها عن غيرها من الأمم. ونظرا لأهمية الذاتية الثقافية، فقد تعددت الدراسات بشأنها، من ذلك: دراسة "ميشيل ويلموند Michel Welmond" سنة 2002 التي أشارت إلى الاهتمام بتحقيق الذاتية الثقافية من خلال المعلمين ومناهج التعليم العام، لأنها الأساس فى الحفاظ على الهوية والأمن والاستقرار للثقافة السائدة في المجتمع في ظل عولمة الترابطات المختلفة بين الثقافات والأمم.

هـــ)– الانتماء: هو اتجاه إيجابي مدعم بالحب، يستشعره الفرد تجاه وطنه، مؤكدا ارتباط وانتساب نحو الوطن، باعتباره عضوا فيه، ويشعر نحوه بالفخر والولاء، ويعتز بهويته وتوحده معه، ويكون منشغلًا ومهموما بقضاياه، وعلى وعى وإدراك بمشكلاته، وملتزما بالمعايير والقوانين والقيم والتقاليد التى تعلو من شأنه وتنهض به، محافظا على مصالحه وثرواته، مراعيا الصالح العام، ومشجعا ومسهما فى الأعمال الجماعية ومتفاعلًا مع الأغلبية ولا يتخلى عنه وإن اشتدت به الأزمات.

و)– المواطنة: إنّها تعبر عن التعلق أو الارتباط الروحي والنفسي بين الفرد ووطنه ومواطنيه، حيث تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وبقدر هذا التعلق أو الارتباط يكون إخلاص المواطن لوطنه. فالمواطنة صفة المواطن التى تحدد حقوقه وواجباته تجاه وطنه، فتجعله إيجابياً يدرك ما له وما عليه، ويكون قادرا على المساهمة الفعالة فى بناء الوطن الذى يعيش فيه.[11]

ثانيا: مضامين العولمة الاعلامية

إذا نظرنا إلى الاعلام في ضوء العولمة، نجد أنه لا يشكل نظامًا دوليًا متوازنًا لأن جل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية، وهذا ما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية.

يري "أنتوني جيدنز" Giddens أنّ عولمة الإعلام ووسائله تعني :" ضغط للزمن، والمكان، وأن عولمة الإعلام هي: "امتداد وتوسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه، كمقدمة لنمط التوسع الثقافي".[12]

أيضا "هربرت شيللر" يعرّف عولمة الإعلام بأنّها: "تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية(عابرة الجنسيات) التي تستخدم وسائل الإعلام كحافز للاستهلاك على النطاق العالمي". [13]

أما الدكتور"محمد شومان" فيرى بأنّها: "عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع المستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى".[14]

في حين يعرّفها الدكتور عبد الملك ردمان الدناني بأنّها: "تعبير عن اتساع التدفقات الدولية في مجالات الإعلام والمعلومات ونقل الأفكار والقيم والعادات الاجتماعية المختلفة، من خلال وسائط الاتصال الحديثة والمتطورة التي برزت إلى الساحة الدولية بشكل واسع، وانتشرت في عقد التسعينيات من القرن العشرين، وسعت للترويج لمظاهر العولمة الجديدة، حتى اجتاحت العالم كلّه، ومنها قنوات البث الفضائي المباشر".[15]

وتتسم العولمة الاعلامية في الوقت الراهن بالسمات التالية:

– أنه إعلام متقدم من الناحية التكنولوجية ومؤهل لمزيد من الانتشار المؤثر في المجتمعات المختلفة ؛

– وهو أيضا يتسم بهيمنة الشركات الأمريكية عليه من حيث الملكية والمحتوى وتوجهات المضامين والأشكال المنتجة، حيث توجد في العالم ستة مجموعات رئيسية كبرى تعمل في الأنشطة الإعلامية لها حضور دولي كبير يتفاوت من مؤسسة لأخرى، أربعة منها أمريكية: تايم وورنر Time Warner، مجموعة برتلزمان Bertelsman، مجموعة فياكم viacom، مؤسسة ديزني Disney)، وواحدة أوربية، وواحدة استرالية أمريكية ؛

– سمة التكامل الرأسي، بمعنى ظهور الشركات العملاقة ومتعددة الجنسيات وقيامها بالملكية المتعددة لوسائل إعلامية وأنشطة متعددة من نشر كتب وصحف إلى محطات إذاعية وتلفزيونية إلى استوديوهات إنتاج سينمائي وتلفزيوني ..الخ. وسبب ظهورها أولا تغير النظرة إلى المعلومات إلى سلعة ومورد قابل للاستثمار، حيث شهدت العقود الأخيرة توسعا في إضفاء الطابع التجاري على كل أشكال المعلومات، والسبب الآخر هو التحولات المتتابعة في الفكر الاقتصادي العالمي، إذ تغيرت نظرة الشركات التجارية العالمية لمفهوم السوق وأصبحت تنظر إلى العالم كله باعتباره سوقا واحدا ؛

– وجود علاقة تكامل وتعاون بين الشركات الإعلام والاتصال والترفيه المتعددة الجنسية والوطن الأم التي تنتمي اليها ثقافيا وسياسيا، ما يعني أن المضامين والبرامج الاعلامية والترفيهية تعكس الخصوصية الثقافية لتلك الدولة، مثال ذلك: التعاون والتساند بين تيد وارنر والحكومة الأمريكية[16] ؛

– انتشار عمل الشركات العملاقة عبر وكلاء محليين: على الرغم مما تتيحه الثورة التكنولوجية والاتصالية من امكانية هائلة لاختراق الحدود القومية والثقافية إلاّ أن الشركات الاعلامية تلك حرصت على العمل عبر وكلاء محليين دون مراعاة احتياجات السوق المحلية، بل السعي لخلق احتياجات محلية زائفة تتماشى مع المضامين والصور المعولمة، التي يجري تسويقها وفق آلية الانتاج الضخم وتحقيق مزايا تنافسية ؛

– تراجع دور الدولة في النظام الإعلامي الدولي، خلال العقد الأخير من القرن العشرين، حيث بدأت أهمية حدودها الجغرافية تتآكل وبدأت سيطرتها عليها تقل بعدما كانت هي اللاعب الوحيد في مجال الإعلام، حيث تقوم بمراقبة وتنظيم بيئة النظام الاعلامي على المستوى المحلي والوطني ؛

– توسيع الخيارات والبدائل المتاحة أما الجمهور، للانتقاء من بين وسائل الإعلام التقليدية (صحف، إذاعة، تلفزيون) والحديثة (البث الفضائي الرقمي، أجهزة الكومبيوتر، شبكات المعلومات، الصحافة الالكترونية، الوسائط المتعددة) ؛ لكن هناك فريق من الباحثين أشاروا إلى أن التكامل الرأسي سابق الذكر سيجعل أقلية تسيطر على إنتاج المضامين والصور، مما سيقلص فرص التنوع الحقيقي، إضافة إلى التشكيك في إمكانية وجود المتلقي النشط الذي يحسن الاختيار العقلاني لما يبث من برامج الترفيه أو العنف أو الجنس.

-ومنه، نخلص إلى أنه، لا يشكل الإعلام المعولم نظاما دوليا متوازنا، لأن كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية، وهذا ما أدي إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية له.[17]

المبحث الثاني: مخاطر العولمة الاعلامية على مقومات الأمن الثقافي العربي

أولا: مخاطر الاعلام المعولم على اللغة العربية: كانت اللغة العربية وما زالت جوهر الهوية الثقافية العربية-الإسلامية، فهي أولًا لغة القرآن الكريم، وثانيا لغة ثرية فى محتواها، ثمينة بقدرة مفرداتها على التعبير عن الحياة فى أدق تفاصيلها، وهى رباط القومي، يجمع قبائل وشعوب الأمة العربية ويوحد بين منطلقاتها وغاياتها، فهي المقياس الذى يعرف به ما وصلت إليه أمتنا من رقي في حضارتها واتجاهاتها الفكرية والثقافية، وهي المقوم الأساسي والرئيسي لتحقيق الأمن الثقافي في الدول العربية.[18]

ولقد أشار العقاد منذ منتصف الخمسين سنة الأولى من القرن العشرين، إلى أن اللغة العربية أصبحت مستباحة الحمى بقوله: "لقد تعرضت وحدها من بين لغات العالم لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم ويحيط بها دسائس الراصدين لها، لأنها قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية".

وإذا كانت بعض دول الغرب نفسه أو من هو قريب منها يشكو من العولمة الإعلامية ذات المضامين الثقافية للوطن الأم على الهوية الثقافية لشعوبها، حيث نجد مثلا فرنسا والتي بسبب اختلاف اللغة تعد أكثر الدول الغربية تشكو من عولمة الثقافة ومن هيمنة اللغة الإنجليزية، والخوف على الهوية الفرنسية، ولذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء في إطار مفوضات تحرير التجارة العالمية، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة، فما بالك باللغة العربية، ولا أدل على ذلك من أن 88% من معطيات الأنترنت باللغة الإنجليزية، و9% بالألمانية، و2% بالفرنسية، و1% يوزع على باقي اللغات.[19] بحيث لا يمثل حضور اللغة العربية في الإنترنيت سوى 0.89% من مجموع اللغات التي يستخدمها العارفون بالتعامل مع الشبكة.[20]

وقد بيّن "هنتجنتون" في كتابه (صدام الحضارات) أهمية اللغة في الصراع حيث أن توزع اللغات في العالم عبر التاريخ يعكس توزع القوة العالمية فاللغات الأوسع انتشارا: الإنجليزية،

الماندارين(الصينية)، الأسبانية، الفرنسية، العربية، الروسية. كانت لغات دول إمبراطورية جعلت شعوبا أخرى تستخدم لغتها.

كما أن التحولات في توزع القوة، تؤدي إلى تحولات في استخدام اللغات، حيث أن مرور قرنين على بدايات القوة البريطانية والأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والعلمية والمالية، تركا ميراثاً ضخماً في التعليم العالي والتجارة والتقنية في أنحاء العالم.

إنّ إحصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي تشير إلى أنّ شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث، كما في سوريا ومصر، ونصف هذا الإجمالي، كما في تونس والجزائر، أما في لبنان فإنّ البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبثة إذ تبلغ 58.2%. ومعلوم أثر هذه البرامج على العقائد والقيم والأخلاق والعادات واللغة .

إن مما يزيد خطورة العولمة الإعلامية على اللغة العربية ضعف العالم الإسلامي وهزيمته حضاريا، أمام الغرب وهذا ما يزيد اختراقها للهوية الثقافية العربية، كما قال "ابن خلدون" : "المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده."[21]

إضافة إلى ذلك يتضح أكبر تأثير على اللغة العربية في ظل العولمة الإعلامية في تغيير المفاهيم باصطناع مصطلحات جديدة لم تتداولها الشعوب، وبذلك تجد ميدانها في خدمة واضعيها، كوصف المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، ودول كالعراق وكوريا الشمالية وإيران بمحور الشر ؛ كما أن مصطلح حقوق الانسان أصبح تبرئة وغطاء يضفي الشرعية على كل التجاوزات والإكراهات التي يمكن فرضها وممارستها على الآخرين .

واليوم يتم الاعتراف باللغات الأجنبية كلغات أساسية تقريبا كاللغة الرسمية في الدولة، ويتم توسيع الحجم الساعي لها بما أصبحت وكأنّها اللغة الرسمية الى جانب اللغة الأم، وهذا هو بداية مسخ الهوية الثقافية إراديا.

ولعل التنافس بين الدول المتقدمة وربط الدول الاستعمارية بالدول المستعمرة في جانب إضفاء اللغة الأجنبية لتصبح لغة ذات أهمية منافسة للغة الأم لهو دليل على تأثير سلبي عولمي، ومسخ وضرب ونفي لمقومات الهوية الوطنية، إضافة إلى اللغة الهابطة واللغة العامية التي تزايدت بفعل العولمة من تداخل اللغات في بعضها البعض بإحداث لغة جديدة غريبة بالجمع بين عدّة كلمات تمثل عدّة لغات. [22]

تقول دراسة حول اللغة الإنجليزية وانتشارها أن خمس سكان العالم يتكلمون الإنجليزية بدرجة ما ،وأن الحاجة إلى الباقين لتعلمها فى ازدياد مستمر.

ومن أخطار العولمة على لغتنا كما ذكرها الأستاذ "يوسف القرضاوى" :" إن العولمة تريد أن يكون أدبنا تابعا لأدبهم، وشعرنا تابعا لشعرهم، ونظرتنا إلى الوجود والإنسان تابعة لنظرتهم، حتى لغتنا التى نعتز بها لكونها لغة كتاب الله المترل ،يريدون ألاّ نعتمد عليها ولا نركن إليها، وأن يكون نصف كلامنا من لغاتهم، نقحمها إذا تكلمنا، وإذا كتبنا، ونعلّم بها أبنائنا فى جامعاتنا".[23]

ثانيا: مخاطر الاعلام المعولم على الدين الاسلامي:

إن أحد الميادين الخصبة للعولمة الإعلامية ذات المضامين الثقافية للوطن الأم المساس بحرية المعتقد والدين، ومنه الحرب الاستدمارية ضد معتنقي الدين الإسلامي، ومن أدلة ذلك وجود مصطلحات تبين ذلك منها مصطلح "العولمة" في حد ذاته، لأنه من وضع إنساني ويبق النقيض لخاصية الإسلام الشامل العالمي الجوهر والنزعة، وأيضا مصطلح "الإرهاب" الذي يبدو أنه متناقض مع مصطلح الجهاد في الاسلام، ومصطلح "الحرية" الذي ينهي التحرر من كل قيد ديني، وهناك ظن بأن الاسلام يقيد الحرية وهذا خطأ، لأن الحرية التي تضعها العولمة هي القضاء في نفس الوقت على حرية الفرد في المعتقد، وكل من يطبق الدين ويضفيه على القانون وحتى في الأخلاق والعبادات والمعاملات أصبح يطلق عليه في حياة العولمة بأنه "رجعي ومتخلف".[24]

ألا يحق لنا كمسلمين ونحن نحمل أعظم عقيدة وخير لسان نزل به القرآن، وأعظم تاريخ بالإضافة إلى القيم الحضارية العالية أن نخشى على تلك الجواهر من أثر العولمة على الهوية إن أخطر ما تحمله العولمة تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية، لما تدعو له من وحدة الأديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها، وتهدمها من أصلها، لأن دين الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية، الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء، ثم أصابها التحريف والتغيير، ودخل على أتباعها الانحراف العقائدي. كما أنّ العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافياً وفكرياً، فالكون في نظر العولمة الثقافية والفكرية لم يخلق تسخيراً للإنسان، ليكون ميدان امتحان للناس لابتلائهم أيهم أحسن عملاً، والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله تعالى ...

وهذه المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية، ليست في نظر القائمين على معظم شركات العولمة الاعلامية والثقافية المتعددة الجنسيات، سوى خرافة.

إنها تروج للفلسفة المادية والنموذج المادي الاستهلاكي من المجتمعات، حيث لا مكان للمقدسات أو المطلقات أو الغائيات، وإنما استدامة عملية التراكم والتحكم في الإنسان والطبيعة.[25] لكن الإسلام بعبارة "عبد الرزاق السنهوري" :" دين الأرض كما هو دين السماء"، وبعبارة "ميشيل عفلق": " إن أمتنا لا يمكن أن تستطيب شيئا أقل من مستوى الوحي الإلهي الشيء السماوي .. والذي هو متجسد في عقل بشري.. فتجربتها من خلال الإسلام، فيها شيء مطلق..في حين أن كل شيء في تجارب الأمم الأخرى نسبي ، ليس فيه الخلود..".(26)

فالدين الاسلامي يبقى يمثل القاعدة الأساسية التى يُبنى عليها الأمن الثقافي العربي المتكامل من حيث العقيدة الراسخة، والقيم الدينية والأخلاقية فى ظل عالم يتجه إلى أن يكون بلا دين ولا هوية واحدة، فهو يسعى إلى التأكيد على الهوية وتكوين الإنسان الصالح فى الحياة، كما أنه من القوى الرئيسية فى المجتمع، فهو المقنن الأول للقيم والمعايير الأخلاقية كما أسلفنا.

ثالثا: مخاطر الاعلام المعولم على التراث والتاريخ العربي:

بداية التراث ما هو إلاّ صورة حقيقية لماضي الأمة، وديوان مفاخرها وذكرياتها، ومستودع تجاربها بنجاحاته وانكساراته، هو ما يوحد ويميز أي أمة عن باقي الأمم البشرية. فكل الذين يشتركون في تاريخ واحد يعتزون ويفخرون بمآثره هم أبناء أمة واحدة، وشعب واحد، وهوية واحدة. ومن ثمّ فإنّ الهوية هي نتاج لحركية التاريخ في المجتمع، تتغير وتتبدل وتتطور حسب وعي الجمعي للشعوب بهذا التاريخ.

ونستطيع القول أنّ حجر الأساس في عملية التقدم الاجتماعي والحضاري لأيّة أمّة مرهون بمدى وعيها بتاريخها وبتراثها الذي يمثل تجارب انسانية جاهزة، ورثتها عن أسلافها تنطلق منها نحو المستقبل، لأنّ "... المستقبل ما هو إلاّ الماضي، مرورا بالحاضر، والوجود الشّخصي هو ثمرة لخبرات الماضي وتجاربه وأحداثه". فالتراث ليس هو "الماضي بكل ما حفل به من تطورات في المجالات جميعا، وما شهده من أحداث تعاقبت عبر العصور، ولكنه الحاضر بكل تحولاته، والمستقبل بكل احتمالاته. إنّه يمتد في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل. فهو جزء منا لا نستطيع الفكاك منه.

وبذلك يصبح سمة أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها وبصبغته تصطبغ". فهو يمثل التجربة الفعلية للآباء والأجداد وما خلفوه لنا من علم وفكر وحكم وفلسفة وشعر و...غيرها من التجارب الانسانية الجاهزة التي يجب علينا أن نعيها وأن تكون هي الأساس الذي يوحدنا، والمنطلق الذي يحفزنا في بناء المستقبل.

لكن المتتبع لقضايا الهوية الوطنية للشعوب العربية اليوم يدرك أنّها أصبحت متشرذمة، ومتشظية، ومضطربة، بفعل ما يسمى "العولمة الاعلامية" و"الرقمنة"، حيث يجد جيل اليوم نفسه منشطراً بين الانتماء لتاريخ طالما أعتز به وافتخر،[27] وهو تاريخ الأمة كما هو تاريخ الدين، ووعاء الذكريات لخلود الأمة عبر الزمان و المكان.. فهو حتى عندما يؤرخ للوطن فإن الوطن فيه هو شرط إقامة الدين ..وعندما يؤرخ للدولة فإن الدولة فيه هي حارس الدين، والمسوسة به،[28] وبين عالم افتراضي وجد ضالته فيه، فتغلغل في نفسه، وسيطر على أفكاره، ومبادئه، يحاول أن يوجهه الوجهة الأخرى، ويبعده قدر المستطاع عن هويته الأصلية.

لقد أصبح العالم يشهد ثورة تكنولوجية عارمة، لا قِبل للإنسان بمواجهتها، تشتمل على الأنترنت، والهواتف النقالة الذكية، والحواسب المكتبية والمحمولة، إلى غير ذلك من تقنيات الاتصال الحديثة، التي ألغت كل الحجب والحواجز بين الشعوب والثقافات، مسقطة طبائع العزلة، فدخلت البيوت، وسيطرت على العقول، وسكنت النفوس، مجسدة بذلك ملامح العولمة الغربية، التي تلعب ببراعة على حبل التقدم التكنولوجي، وتعاظم دور المعلوماتية، لأجل ضرب الهويات الوطنية والقومية للشعوب، ونزع الارتباط الوثيق لمفهوم الوطن المتصل بالأرض، فلم يعد "التفاعل على أرض واحدة هو الباعث الأول للتجمع، بل أصبح يتم عبر التكنولوجيا ووسائط الاتصال والمعلومات" ؛ ليلغى بذلك عامل الأرض والوطن والتراث، المشكلون للهوية الوطنية، ويفتح المجال أمام هويات أخرى دخيلة تهدد الهوية الأم.

إنّ المرحلة التي يجتازها العالم اليوم، أصبحت تتهدّد فيها الهويات بالتلاشي أو بالذوبان في الهوية الغازية الغالبة، ويتعرض فيها التراث الانساني لحملات من المسخ والتشويه والتقليل من قيمته والنيل من فعاليته في صيانة حقوق المجتمعات الانسانية، في التشبث بقيمتها التراثية وهوياتها التاريخية التي هي العمود الفقريّ لخصوصيتها الروحية ولمكوناتها الثقافية ولسماتها الحضارية.

فالإنسان العربي كغيرة من شعوب العالم الثالث لم يعد يستقي مفاهيمه وخبراته من الموروثات، ومن تجارب الأجداد وتاريخهم، بل أصبح يستند إلى تجارب جديدة تفرضها عليه

التكنولوجيا ووسائطها المبهرة، وأصبحت مرجعيته الدنيوية وحتى الدينية يستقيها من وسائل الإعلام، ومواقع الإنترنت، خصوصا مواقع التواصل الاجتماعي المنتشرة بشكل رهيب ومخيف في المجتمعات، مهدّدة استقرارها ونظم عيشها، لما تقدمه من كمّ هائل من المعلومات والتعليقات والتوجيهات التي قد تعارض والبنية السوسيولوجية للمجتمع. (29)

المبحث الثالث: سبل مواجهة العولمة الاعلامية وحماية الهوية الثقافية العربية

أولا: في المجال الثقافي: يجب الإحساس في نفسية الأفراد بالخصوصية الثقافية وميزات الهوية الثقافية والحضارية بالتفاعل المدرك مع الثقافات الأخرى على أساس التعاون والتكامل دون تبعية ثقافة إلى ثقافة أخرى أو ذوبان إحداها في أخرى، وذلك يتم من خلال دعم الاتصال الثقافي الفكري المحلي والجهوي للأمة.

إضافة إلى ضرورة توعية الأفراد الذين يؤمنون بحتمية العولمة بتقديم وشرح ظاهرة العولمة بما تخفيه من مخاطر، معتمدين في ذلك على المجال التربوي كونه الأساس للثقافة والهوية لأي أمة، بتكوين وتعليم وإنشاء الأجيال المحصنة من كل زيغ، ولا يكون ذلك إلا بالإصلاح المنظوماتي للتربية في المناهج والمواد الأساسية المعتمدة عمليا، والنظر في مضمون هذه المواد والمناهج، بالاعتماد على المرجعية الدينية والتاريخية واللغوية في إطار التفتح الثقافي العالمي. وبذلك فقط يمكننا تقوية الجبهة الداخلية للهوية الثقافية للتصدي للغزو الإعلامي- الثقافي. (30)

ثانيا: في المجال الاعلامي: ضرورة الابتعاد ما أمكن عن اتخاذ المواقف المتسرعة والآراء القطعية بخصوص ظاهرة عولمة الإعلام والانشغال بالبحث عن أسلم السبل للتعامل معها كظاهرة موضوعية. مع أهمية المشاركة العربية في كل الفعاليات والمنتديات الدولية المتعلقة بمناقشة قضايا العولمة الإعلامية بوصفها عملية تاريخية وبشكل يحفظ للثقافة العربية هويتها ومرونتها وقدرتها على التواصل الخلاق مع الثقافات الأخرى، أخذا وعطاء.

كذلك ضرورة استنهاض الجهود العلمية العربية بشكل أكثر فاعلية من أجل دراسة التوجهات المستجدة للعولمة الإعلامية باستمرار، بهدف خلق الميكانيزمات الأكثر فاعلية للتعامل معها.

دون أن ننسى أهمية تبني استراتيجية إعلامية على مستوى دول الوطن العربي ككل وكل دولة عربية على حدة، تضع ضمن أولوياتها الوعي بمخاطر عولمة الإعلام على هوية الأمة وخصوصيتها الثقافية، والتوجيه إلى وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة من أجل تطوير برامجها بما ينسجم وهذه الإستراتيجية، والعمل بصورة جدية على إحداث إعلام عربي موجه إلى الغرب يخاطبه بلغاته (أي عدم الاقتصار على اللغة العربية في الخطاب الإعلامي العربي).

وأخيرا، ضرورة العمل عربيا وبلا كلل، ورغم كل العقبات، على لجم عدد غير قليل من القنوات الفضائية العربية المتفلتة من أية رقابة، التي يصب أداؤها في صالح كل ما هو مؤذ للثقافة والهوية العربية، من خلال برامجها الخلاعية المائعة البعيدة كل البعد عن جوهر الثقافة الأصيلة للأمة.[31]

ثالثا: في المجال اللغوي: من المعروف أنّ اللّغة العربيّة ليست فقط مرتبطة بالعرب بل مرتبطة بالمسلمين في أي مكان في العالم لأنها لغة كتابهم السماوي، وقد أقسم الله أن يحافظ على الكتاب حتّى قيام الساعة. وبالتالي فاللغة العربية باقية حتّى قيام الساعة، لكنّ المشكلة الحقيقية هي أنّ الدولة القويّة اقتصاديا وعسكريا تفرض سيطرتها الثّقافية حول العالم، ومن أشكال السّيطرة فرض اللغة كفرض اللغة الإنجليزية حول العالم في العصر الحالي، حتى في الجامعات العربية والغربية غير الأنجلوساكسونية، وبالتالي أصبحت اللغة العربية في وضع حرج إذ بدأ عدد الأشخاص الراغبين بتعلّمها حول العالم بالانخفاض، ولا بد من الحفاظ على اللغة العربية ونشرها، وذلك من خلال الحلول والاقتراحات الآتية:[32]

أ)– التدريس باللغة العربية: في جميع الجامعات يتم تعليم العلوم بلغاتها القومية، إلّا في الجامعات العربية فإنّ هذا الأمر أصبح غير موجود وبدأ يتلاشى مع الوقت، وهل يرتبط مقدار المعرفة والتقدّم العلمي بالدراسة باللغة الأجنبية ؟!، لا يرتبط نهائيا والتعليم باللغة القومية ما هو إلّا طريقة لتوطين العلم وتأكيد الهوية العربية ؛

ب)– الكتابة باللغة العربية الفصحى: فمن المحزن أن نتخلّى عن لغتنا الأمّ التي اختارها الله لكتابه الكريم ؛

ج)– **فهم القرآن**: إذا أراد شخص حفظ عدد كبير من المفردات العربية عليه أن يتعلم القرآن وبهذا يفهم اللغة العربية وتفسير كلام الله عزّ وجلّ، وهذا التعلم ضروري لكل مسلم حتّى يفهم دينه ولغته بشكل أكبر ؛

رابعا: في المجال الديني: يجب على المسلمين مقاومة هذه الهيمنة الجديدة بالحكمة وبالطريقة الحسنة الفعالة ؛ لأن الإسلام دين لا يعرف العزلة ويعترف بالتعددية الثقافية والفكرية، وباختلاف الأمم، وحق كل أمة فى البقاء وفى الدفاع عن خصوصياتها وموروثاتها فهو يسعى إلى غرس الاعتزاز بالعقيدة ؛كما يدعو أيضا إلى غرس فضيلة التسامح مع الآخرين ؛ فالمسلم لا يتعصب ضد الآخرين ولا ينكر وجودهم ولا يتنكر لحقوقهم ولا يضمر البغض والعداء لهم بل هو انطلاقا من تعاليم دينه يتسامح مع الآخرين ويتحاور مع المخالفين. ومما يزيد المسلم اقتناعا بعالمية دينه بأن الإسلام ليس بالدين الذى تحدّه ظروف جغرافية أو زمانية أو ثقافية.

فإذا كان تطور العلوم الطبيعية يقف الآن حجر عثرة فى طريق بعض الأديان الباطلة، فإنه يقف شاهدا على صدق هذا الدين، حيث لا يجد فيه ما يخالف شيئا من حقائقه ولا يجد فيه مخالفة لمنهجه العقلاني التجريبي ولا إنكارا لما يشهده الحس. فينبغى للمسلمين اليوم أن يتعرّفوا على خطر العولمة كما يجب عليهم أن يكونوا على بصيرة من مزايا الإسلام وصالحيته للعالمية وتطابقه للفكرة الإنسانية، كما ينبغى أن لا يكونوا غافلين عن الوضع الراهن من القضايا التى تهدّد وجود الشعوب المسلمة والأمة الإسلامية كأنّهم لم يسمعوا بشئ من هذا و لم يلقوا لها بالا.

ويجب على المخلصين من أبناء هذه الأمة أن يبذلوا جهودهم من أجل التبصير بالمخاطر، والإبداع فى بث القيم الراشدة بالأسلوب المناسب عبر الآليات الجدية ؛ راجين من الله تعالى أن تثمر هذه الجهود فى جعل أمتنا عصية على التنميط والتبعية وبعيدة عن دوامات العولمة على الأقل فى جانبها العقدى والثقافى والقيمي.

كما يجب على أولى الأمر من المسلمين أن يبحثوا عن البديل الناجح المثمر من الإسلام وأن يتخذوا اللوازم لعالميته بدل العولمة ذات المضامين المسيئة لفطرة الإنسان أي إنسان في العالم، فإنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذى فى وسعه أن يقدم الحل الناجح، وفى وسعه أن يقدم للبشرية ما فيه النجاح والفلاح لهم، وما فيه الخير والسعادة والطمأنينة. (33)

وعليه نوصي قادة الرأي في الدول العربية كافة بما يلي:

– ضرورة سن قوانين رادعة لمراقبة المحتويات الإعلامية والاتصالية المستوردة من الدول الأجنبية بمختلف أشكالها ؛

– إخضاع كل المواد الإعلامية المستوردة من الوكالات الإعلامية الأجنبية لعملية المراقبة، وحذف كل ما يتنافى مع قيمنا الأخلاقية ؛

– تفعيل الإعلام المحلي ودوُر السينما في الدول العربية بغُية تغطية العجز المسجل في الشبكات البرامجية العربية ؛

– تفعيل دور المؤسسات الاجتماعية (الأسرة – المسجد – المدرسة)، من خلال قيامها بمراقبة ما يشاهده الشباب والأطفال من برامج عبر وسائط الاتصال والإعلام الحديثة، وتوعيتهم بمدى خطورة الكثير مما يقدم من برامج إباحية ؛

– تعريف الشباب بأخطار تكنولوجيا الاتصال والإعلام من خلال عقد دورات تدريبية في هذا المجال، سواء في المدارس أوالجمعيات أو الجامعات وغيرها من المؤسسات ؛

– العمل على تنمية الوازع الديني لدى الشباب العربي من خلال عقد ندوات علمية تشرح الدور الإيجابي الذي يمكن أن يقدمه الشباب من خلال استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام في نشر الدعوة الإسلامية ؛

– تنمية المراقبة الذاتية، أثناء استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام، لأنّ هذه الوسائل مجرد تقنيات، وتوظيفها الإيجابي يتوقف على طبيعة مستخدمها، فإنّ استخدمها في الأمور الإيجابية تعود على بالإيجاب، والعكس صحيح ؛

إنّ أقوى وسائل وجبهات الحرب بين الأمم اليوم، ليست حرب رصاص وبارود، بل هي حرب إعلامية بالدرجة الأولى. وهي تستهدف الأفكار والعقول ؛ والمنتصر فيها هو من امتلك التكنولوجيا ومفاتيحها. لذلك يجب على الدولة الانفتاح على تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتطويرها وتشجيع الإبداع والابتكار فيها وبها ؛

– إعادة النظر في المنظومة الثقافية (المسجد، المدرسة...) من خلال تجديد خطابها ووسائلها تلقينها، تماشيا ومتطلبات التقنية للعصر، مع إبراز الجوانب التراثية المشرقة وتكريسها كعامل وحدة للمجتمع وللأمة.

وبما أن العالم أصبح مفتوحا على مصراعيه يجب عدم التضييق على القوميات والأقليات، بل يجب الاعتراف بالتنوع اللغوي والثقافي والديني الموجود في الوطن، وأن نؤصل للمواطنة والانتماء، حتى لا يُفتح المجال أمام قوى أخرى وتدخلات الأجنبية.

وكبقية الشعوب العربية شهد مجتمعنا الجزائري المعاصر انفتاحا كبيرا على الآخرين لا يمكن للدولة أن تحد منه، ويبقى دورها الأساسي في هذا التحول إعداد مواطنيها والأجيال الصاعدة على أن يكونوا فاعلين في هذه المرحلة بما تزودهم به من فرص تنمية مهارات الاتصال والتفكير والانتقاء الجيد من الموروث الثقافي الوطني قصد دمج الصور الايجابية تجاه الفضاء الذي ينتمون إليه.

إن المجتمعات العربية بصفة عامة وما تعانيه من القهر والاستلاب والاستبداد، والضعف على كامل الأصعدة، جعل مجتمعاتها تبحث عن هوية جديدة تنشدها في قيم ونموذج مجتمعات الحضارة الغربية المبنية في ظاهرها على الحرية والتنوع والتطور ؛ لذلك يجب على الحكومات العربية أن تسعى إلى توفير دولة الحرية في عدل ودولة القانون في مساواة، ودولة الرخاء في غير سرف.

– تربية النشء تربية صحيحة، سليمة، مبنية على تراث الأجداد، وما خلفوه لنا من قيم وعادات وتقاليد ؛ حتى إذا ما دخلوا ترس هذه التكنولوجيات كانت لهم الدرع الحصين والواقي.

إن الحفاظ على التراث هو حفاظ على الهوية، لذا يجب تسخير كل المستلزمات الضرورية للحفاظ على التراث الوطني (المادي–والمعنوي)، والاستفادة منه، في بلورة القيم وسلوكيات النشء، وإرساء هويته.

وعليه ينبغي أن نعي جيدا زماننا، والخطر الذي أصبح يهدد كياننا، ونبحث عن حلول جذرية تتماشى والعصر الذي نعيش فيه. فنحاول أن نستفيد من هذه التقنيات ونأخذ الجوانب الإيجابية فيها، و لم لا نمتلك هذه الأسلحة –وهي متاحة للجميع– ننشر من خلالها ثقافتنا وتراثنا، ونكون مؤثرين في الغير لا متأثرين، غالبين لا مغلوبين.

خاتمـــــة:

أفرز التطور الهائل لتقنيات الإعلام والاتصال على المستوى الكوني ظاهرة تحول حضاري، بحيث يترك العصر الصناعي ومجتمع الاستهلاك تدريجيًا مكانهما لما يسمى "مجتمع الاتصال". ولقد

أثار هذا التدفق الإعلامي والثقافي القادم من الولايات المتحدة الأمريكية قلعة عالمية، باعتبار الظاهرة الإعلامية من أخطر الظواهر تهديدًا للأمن الثقافي، والأيديولوجي، والوحدة والهوية القومية داخل الإقليم الوطني للدولة.

وعليه نقول أنّ عالم الإعلام اليوم يبدو –اتصاليا وإعلاميا– عالما بلا دولة، وبلا أمة، وبلا وطن، لأن العديد من الحكومات خاصة في الدول النامية، تبدو فاقدة لهوامش كبيرة من الرقابة والسيطرة على فضائها الجوي، وأصبح الفضاء اللامحدود هو المكان الذي تتحرك فيهقوى العولمة الإعلامية. فإذا نظرنا إلى الإعلام في ضوء العولمة، نجد أنه لا يشكل نظاما دوليا متوازنا لأن جل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتى من شمال الكرة الأرضية، وهذا ما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية.

ومن خلال هذا الإعلام المعولم الموجه الذي يستخدم الكلمات والصور، يروج لنمط الحياة الغربية على أساس أنها النموذج الأمثل، وهي حياة المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي، وتعمل على تشجيع الآخرين للاحتذاء به.

في الأخير نقول أنّ للإعلام اليوم في عصر ثورة الاتصالات الرقمية الكوكبية، سطوة ونفوذا قاهرا. والحق إنها ثورة تحمل في طياتها فرصًا -كما تحمل مخاطرا- يمكن أن يكون تأثيرها إيجابيًا لصالح الإنسان ورقيه، إذا أحسن توظيفها، كما تحمل في طياتها مخاطر كثيرة، إذا وظفت قوى الهيمنة الإعلام لاستلاب الهويات وسحقها وتمييعها. وفي قلب التحديات الراهنة التي يغذيها عصر الإمبريالية الإعلامية والثقافية بدماء الاكتساح الثقافي واحتكار الرموز والقيم، يوجد تحدي الاجتهاد النقدي، الميداني، لصنع البدائل والاقتدار على التغير أو التكيف المتوازن.

الهـــوامش:

1)- مصطفى محمود منجود، **الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الاسلام**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1996، ص :30 – 32.

2)- Charles-philippe David, Jean Jacques Roche, **Théories de la sécurité : définition, approches et concept de la sécurité internationale**, Paris, édition Montchrestien, 2002, p 85.

3)- Alex Macleod**, les études de sécurité : du constructivisme dominant au constructivisme critique**, in: **Cultures and Conflits, N° 54, 2004**, p 14.

4)- تاكايوكي ياماورا، "**مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية**، (ترجمة: د. عادل زقاغ)، http://www.geocities.com/adelzeggagh/secpt.htm

5)- جامعة أم القرى، "**أبعاد الأمن الثقافى لدى الشباب** "، 18/ 5 / 2015 ، ص3. http://uqu.edu.sa/page/ar/11830.

6)- Helen Spencer-Oatey, **What is culture? A compilation of quotations**, Global PAD Core Concepts, 2012, p1.
http://go.warwick.ac.uk/globalpadintercultural

7)- السيد محمد الديب، "**العولمة والهوية الثقافية**"، ورقة من ندوة: "**الثقافات المحلية في ظل العولمة**"، معهد البحوث والدراسات الافريقية، قسم الانثروبولوجيا، جامعة القاهرة، يوم: 21 أفريل 2003، ص 6.

8)- محمود محمود النجيري، **الأمن الثقافي العربي التحديات و أفاق المستقبل**، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب، 1991، ص 15.

9)- جامعة أم القرى، المرجع السابق. انظر في:

- http://uqu.edu.sa/page/ar/11830.

10)- نفس المرجع، ص 4.

11)- نفسه ، ص 5 -10.

12)- موسى عبد الرحيم حلس، ناصر علي مهدي، "**دور وسائل الإعلام فى تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني**"، (**مجلة جامعة الأزهر بغزة**)، سلسلة العلوم الإنسانية 2010، المجلد 12 ، العدد 2 ،ص 150 .151.

13)- رحيمة عيساني، "**الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية الشباب الجامعي بالجزائر أنموذجا**"،(**أطروحة دكتوراه**)، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والاعلام،، قسم علوم الإعلام والاتصال،2006/2005، ص.118

14)- بدرية البشر، **واقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي دبي والرياض نموذجان**، ط/1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008 ، 62.

15)- رحيمة عيساني، المرجع السابق، ص 121.

16)- رضا عبد الواجد أمين، **الإعلام والعولمة**، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2007، ص 128- 136.

17)- نفس المرجع، ص 136- 139.

18)- جامعة أم القرى، المرجع السابق، ص6.

19)- خالد بن عبد الله القاسم، "**العولمة وأثرها على الهوية**"، (**مؤسسة اسلام اليوم**)، دراسات علمية، الاثنين 2 جمادى الأولى 1427 الموافق 29 مايو 2006 ، تاريخ التصفح : 22 مارس 2017. ص4.

http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-7335.htm

20)- نور الدين بن نعيجة، "**الهوية الوطنية بين الموروث التاريخي وتحديات العولمة والرقمنة**"، (**مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة**) – الأغواط 06 ، أكتوبر 2016.

http://www.crsic.dz/index.php?option=com.

21)- خالد بن عبد الله القاسم، المرجع السابق،ص 5.

22)- زغو محمد، "**أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب**"، (**الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية**)، 4 – 2010، ص 98 .99.

23)- أبو بكر رفيق، "**مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للعالم الإسلامي**"، (**دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ**)، المجلد الرابع، ديسمبر 2007 م، ص11.

24)- زغو محمد ، المرجع السابق، ص 99.

25)- خالد بن عبد الله القاسم، المرجع السابق، ص 5.

26)- محمد عمارة، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**، ط/1، القاهرة: دار نهضة مصر، 1999، ص 10.

27)- نور الدين بن نعيجة، المرجع السابق.

.op.cithttp://www.crsic.dz/index.php?option=com.

28)- محمد عمارة، المرجع السابق، ص 10.

29)- نور الدين بن نعيجة، المرجع السابق.

30)- زغو محمد ، المرجع السابق، ص100.

31)- أسعد ملي، "**التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية**"، (**مجلة جامعة دمشق**)، المجلد – 26 العدد الثالث و الرابع2010 ، ص 486.

32)- وسام طلال،"**كيف نحافظ على اللغة العربية**"، 12 يوليو 2015،

http://mawdoo3.com

33)- أبو بكر رفيق، المرجع السابق، ص 14.